مدرس المادة: م. قحطان عدنان حميد

كلية الزراعة- جامعة البصرة

المحاضرة الثالثة:

أولا : اعتمدت الليبرالية على فكرة العلمانية في تطبيق نظريتها السياسية وهذا المبدأ يعتمد كما ذكرنا على فصل الدين عن السياسة وهو مبدأ خاطئ جدا للأسباب التالية :

أ- نظرا لما كان يعانيه الغربيين من تدهور في جميع نواحي الحياة وخصوصا السياسة بسبب الكنيسة وما قامت به من دور في دعم الحكم الارستقراطي الذي أدى بالتالية على مرور الغرب بحقبة تاريخية سميت فيما بعد بالعصور المظلمة التي كان يقابلها عند العرب العصر الذهبي (فترة الازدهار الحضاري في جميع نواحي الحياة العمرانية والتكنولوجية والعلمية ... وغيرها) وبعد الغزو الصليبي لبلاد العرب وانبهار الغربيين بما وصل إليه العرب من التطور الحضاري قرروا الخروج عن سلطان الكنيسة وكان يمكن ان يكون الإسلام هو البديل الصحيح لكن الدور الذي قام به رهبان الكنية والقسيسين من تشويه صورة الإسلام لدى الغربيين أدى الى انحرافهم عن الدين بكامله فجاء الرفض من قبل مجتمعهم حتى للمسيحية فتولدت فكرة العمانية (الرفض بان يكون لرجل الدين أي دور في السياسة) وهذه الفكرة علاج خاطئ لسبب لم يكن للدين المسيحي ذنب فيه ولكن التطبيق الخاطئ للمسيحية ووصول رجال غير نزيهين الى مراتب عليا في الكنيسة وتلبسهم بلباس الدين ، إذاً فسبب مرور الغرب بعصور الظلام كان نتيجة الخطأ في التطبيق (للمسيحية) لا عن خلل في القانون (الدين المسيحي) بل بالتطبيق وكان العلاج لذلك (العلمانية كما رأى الغربيين) علاج خاطئ أسوأ من السبب وخطأ فادح جلب الويلات للمجتمع الغربي الى يومنا هذا .

ب- ان قاعدة فصل الدين عن السياسة قاعدة خاطئة لكون ان السياسة إذا كان معناها إدارة أمور البلاد وإصلاح شؤون المجتمع الدنيوية فانم الأديان جميعها شرعت ونزلت الكتب السماوية لهذا الغرض ولغرض أسمى من ذلك وهو إصلاح أمور الرعية الدنيوية والأخروية فآي تناقض يكون بين الدين والسياسة حتى نلجأ الى فصل الدين عن السياسة وبذلك ينتقض مبدأ العلمانية جملة وتفصيلا .

ج- لو تنازلنا وقلنا ان العلمانية فكرة صحيحة ومبدأ جيد لإدارة أمور البلاد فيكون هذا جيدا للغرب وليس للعرب فان الدين الغربي هو النصرانية وهو دين محرف كما في عقيدتنا والمجتمع الغربي بصورة عامة غير متدين ولكن بالنسبة للمجتمعات العربية كلها مجتمعات إسلامية وهي مجتمعات متدينة ولها مبادئها الإسلامية الرصينة ولها عاداتها وتقاليدها وأعرافها الاجتماعية التي أكد عليها الإسلام وحث عليها لذا فمن المستحيل ان تكون العلمانية مبدأ جيد لإدارة البلاد الإسلامية عامة .

د- ان تطبيق العلمانية في البلاد الإسلامية لا مبرر له فإننا قد جربنا الإسلام ورأينا ما قادنا به من ازدهار في جميع نواحي الحياة وما سمي فيما بعد بالعصر الذهبي اخذ منه الغرب الحجر الأساس لحضارتهم اليوم ، وأما تخلف المجتمع الإسلامي اليوم فهو نتيجة حتمية لانسلاخ المسلمين عن دينهم فالخلل في المسلمين لا في الدين الإسلامي .

هـ- إن فصل الدين عن السياسة يعني إمكانية وصول الملحد الى الحكم وهذا غير ممكن في البلاد العربية لا بل من المستحيل ان يدير شؤون المسلمين ملحد كافر فبذلك يؤدي الى خراب البلد ودمار المجتمع للتناقض الذي يحصل ما بين القيادة والشعب وهذا ما ينافي تعريف السياسة وبذلك أيضا تنتقض فكرة العلمانية .

ثانياً : اعتمدت الليبرالية على مبدأ العقلانية وثقتها المطلقة بالعقل الإنساني للوصول الى الكمال وهذا مستحيل فالكل يجمع ان العقل الإنساني يبقى ناقص مهما وصل الى مراحله من النضج والكمال لان كماله نسبي وليس مطلق والعقل الناقص لا يمكن له ان يدير أمور الحياة كلها بصورة صحيحة وإنما الذي يدير أمور الحياة بالصورة الصحيحة هو العقل الكامل المطلق وهو العلم الكامل المطلق وهو ديننا الحنيف (بشرط التطبيق الصحيح) .

ثالثاً : اعتمدت الليبرالية أيضا على مبدأ الإنسانية ودفاعها عن حقوق الإنسان ولكن من الذي يحدد حقوق الإنسان وواجباته ، فإذا قلنا أن الإنسان فهذا غير ممكن ان يحدد الإنسان حقوقه وواجباته في ان واحد من دون أن ينحاز الى ذاته في التهاون عن تحديد واجباته لذلك لا بد من قاعدة سماوية تحدد الحقوق والواجبات للأفراد بالتساوي دون نظرة انحيازية الى أي طرف أو فرد داخل المجتمع لتحقيق السعادة الكبرى للمجتمع وهذا ما نجده في مبادئ الدين الإسلامي ، إذ أكد الرسول (ص) على ذلك في حديثه الشريف ((كلكم لآدم وآدم من تراب))

وهذه قاعدة التساوي هي الأساس لتطبيق الحرية الصحيحة لذا نجد انم الكثير من مبادئ حقوق الإنسان في هيئة وثيقة الأمم المتحدة هو قواعد إسلامية بكلام غربي .

رابعاً : اعتمدت الليبرالية على مبدأ النفعية (وهو تحقيق السعادة لأكبر عدد من الناس) من المآخذ الكبرى على فكرة الليبرالية حيث ان تحقيق السعادة لعدد من الناس دون النظر الى الآخرين يعني وجود ظلم وتعسف تجاه فئة معينة وهذا يبين هشاشة فكرة الليبرالية .

خامساً : ناقشت الليبرالية الحرية وفقا لمنطلقين السياسي والاقتصادي حسب نظرتها المادية للحياة وهذه النظرية ناقصة لما نجده في الإسلام الى الحرية (كما سنبين ذلك موضوع نظرة الإسلام الى الحرية) .

وبعد ما ذكرناه من سلبيات الليبرالية وتناقضاتها والمآخذ عليها نجد انه من المستحيل ان تكون الليبرالية حلاً لمشاكل المجتمع العربي والعراقي بالخصوص بل الحل بالنظريات الإسلامية وبتطبيق النظرية الإسلامية للحرية (كما سنبين ذلك لاحقا) وبذلك تنتقض فكرة الليبرالية من جذورها .

الحرية بالمنظور الإسلامي :

ارتفع الإسلام بنظرته الى الحرية عن كل المفاهيم والنظريات الغربية التي قيدت الحرية ضمن الإطار المادي الذي جرد الكانسان من الكثير من معاني الحياة الإنسانية وأصبح بذلك الإنسان يلهث وراء غرائزه التي ليس لها حدود وكان بذلك هذا المجتمع مجتمع متفسخ ظاهره جميل ومنظم وباطنه خالي من جميع المعاني الحقيقية للحياة يتساوى فيه الإنسان مع الحيوان في أفعاله وما يخالجه من نزوات يدفع الآخرين ثمنها .

أما الإسلام فقد ذهب بالحرية الى معناها الحقيقي البعيد المدى لا يقيد بالجانب المادي بل اتخذ الى جانب ذلك شقاً آخر في التعامل مع الحرية وهو الجانب الروحي للحرية وبذلك يكون الإسلام يتعامل مع الحرية عبر جانبين لا يكون أحداهما تاما ويأخذ معناه الحقيقي الصحيح دون الآخر .